

نظريات النمو

1) نظرية التحليل النفسي، النمو النفسي والجنسي

مرحلة الرضاعة، الطفولة المبكرة، ما قبل المدرسة الابتدائية، المدرسة الابتدائية، المراهقة.

تؤكد نظرية فرويد على أهمية خبرات الطفولة المبكرة ودوافع اللاوعي في التأثير في السلوك، فالعديد من المحفزات الغريزية وذكريات الخبرات الصادمة يتم اخمادها في أوقات مبكرة من الحياة، حيث يتم اقصاصها من الوعي الشعوري إلى العقل اللاشعوري، الأمر يؤدي إلى الاستمرار في تأثيرها في السلوك وحدوث القلق والصراع.

ويرى فرويد أن التثبيت يعود بجانب العوامل الجينية (الوراثية) إلى عوامل ذات طبيعة تربوية اجتماعية وعلى رأس هذه العوامل:

1- الاشباع المسرف في سني المهد والطفولة المبكرة والذي يجعل الطفل لا يريد أن يترك هذا المستوى الذي ينعم فيه بالإشباع والمتعة. ولكن النمو يتابع سيره إلى المرحلة اللاحقة، ولكن بعد أن يكون قد تخلف قدر كبير من الطاقة اللبيدية في المرحلة التي حدث فيها التثبيت، ومن عوامل التثبيت أيضاً 2- الاحباط الشديد الذي يجعل الطفل يجد صعوبة في تخطي هذا المستوى إلى المستوى التالي طلباً للإشباع الذي كان من المفروض أن يتلقاه في هذه المرحلة كما أن التثبيت قد يحدث في ظل 3- الاشباع المسرف والاحباط الشديد لأنه كثيراً ما يكون التناوب بين الاشباع المسرف والإحباط الشديد هو العامل الحاسم وراء التثبيت. وإذا لم يحدث تثبيت للطاقة اللبيدية في أية مرحلة وواصلت سيرها، فإن الطفل ينتقل من مرحلة سيكولوجية إلى التي تليها، ويستمد الطفل اشباعه لطاقته الغريزية في كل مرحلة خلال عضو معين من أعضاء جسمه ويسمى فرويد المراحل النفسية باسم العضو الذي يستمد منه الطفل الاشباع في مرحلة معينة.

مراحل النمو النفسي حسب فرويد:

1- المرحلة الفمية: Oral Stage وتغطي هذه المرحلة السنة الأولى من عمر الطفل الرضيع، ويحدث الاشباع عنده في هذه المرحلة من استثارة الشفاه واللسان والفم، ويكون سلوك الرضاعة هو المصدر الرئيسي للذة في حل هذه المشكلة، ويوجه الأنا الجديد للطفل في هذه المرحلة أنشطة الرضاعة نحو ثدي الأم أو زجاجة الحليب، وإذا لم يتم الاشباع الفموي في هذه المرحلة بشكل مناسب فقد يطور الطفل عادات كمص الاصبع أو قضم الاظافر أو التدخين في مراحل لاحقة من حياة الطفل.

2- المرحلة الشرجية: Anal Sage خلال العامين الثاني والثالث من حياة الطفل تصبح المنطقة الشرجية مركز اهتمامات الطفل الجنسية، حيث يتزايد وعي الأطفال بالذلة الناجمة عن حركة الأمعاء على الأغشية المخاطية للمنطقة الشرجية، وتتحقق هذه اللذة من خلال اشباع الحاجة الحيوية للتخلص من الفضلات وفي هذه المرحلة تتصف علاقة الطفل مع محيطه وخاصة الأم بأهمية كبيرة لتطوره اللاحق، ويقدر فرويد أن بعض الخصائص التي يتمتع بها الفرد في مراحل لاحقة من حياته كالعناد والانضباط تتبع من الخبرات التي مر بها الطفل في المرحلة الشرجية، وبناء على ذلك فإن الشخصية التي تتسم بهذه الخصائص هي امتداد للطفولة في تلك المرحلة ومشتقة منها

3- المرحلة القضيبية: Phallic Stage تغطي هذه المرحلة الفترة الزمنية بين ثلاث الى ست سنوات من عمر الطفل ويحصل الأطفال في هذه المرحلة على المتعة من خلال اثاره الأعضاء التناسلية، وإذا حدث ما يؤثر على سير النمو كما يحدث خلال ظاهرة التثبيت فإن علاقة الطفل بأمه تظل قوية وتتعطل عملية التوحد مع الوالد، كما تستمر روابط الطفلة العاطفية بوالدها او تضطرب علاقة الطفل بوالديه معا. ويترب على ذلك اضطرابات في الشخصية والسلوك فيما بعد.

4- مرحلة الكمون: Latency Stage تغطي هذه المرحلة الفترة ما بين السادسة و سن البلوغ، ففي الفترة الممتدة من نهاية المرحلة القضيبية حتى البلوغ تهدأ الأزمة القضيبية وتراجع الاهتمامات والمشاكل الجنسية،

ويسمي فرويد هذه المرحلة من الهدوء بفترة الكمون التي تمتد من افول الجنسية الطفلية في العام الخامس أو السادس حتى بداية سن البلوغ، حيث يكرس وقته وطاقته للتعلم والأنشطة البدنية والاجتماعية ويتحول مصدر اللذة من الذات للأفراد الآخرين عندما يصبح الطفل مهتما في تكوين الصداقات مع الآخرين.

5- المرحلة التناسلية : Genital Stage يرى فرويد أن هذه المرحلة تغطي فترة المراهقة فابتداء من البلوغ تصبح المهمة الكبرى للفرد هي أن يحرر نفسه من أبويه، وبالنسبة للذكور فإن ذلك يعني أن يتخلص من ارتباطه بأمه وأن يجد امرأة خاصة به، وأن يتخلص أيضا من منافسته لأبيه ويحرر نفسه وبالتالي من سيطرة أبيه عليه، وكذلك الحال بالنسبة للبنات إذ ينبغي أن تنفصل هي أيضا عن الأبوين وتبدأ حياتها الخاصة. ولاحظ فرويد أن هذه الاستقلالية لا تتم بسهولة مطلقا بسبب اعتيادها لسنوات طويلة الاعتماد على الوالدين والارتباط الكبير بهم عاطفيا، ويرى فرويد أن التغيرات التي تحدث في فترة المراهقة لا تحدث عند الجنسين بالطريقة ذاتها باعتبار أن الهدف الجنسي الجديد يعطي كلا من الجنسين وظائف مختلفة، وإذا كان التطور ناجحا في هذه المرحلة وغيرها من المراحل السابقة فإنه يقود إلى الزواج والنضج الجنسي وإنجاب الأطفال وتربيتهم.

2) نظرية إريك اركسون في التطور النفسي والاجتماعي: مراحل النمو النفسي والاجتماعي.

اختلف اريك اركسون (1902-1994) مع فرويد في العديد من الجوانب:

2) فقد اعتقد أن فرويد ركز كثيرا على دور الدوافع الجنسية في سلوك الانسان وقد استنتج في نظريته النفس اجتماعية أن هناك دوافع نفسية اجتماعية أخرى وحاجات تصبح بمثابة قوى دافعة في تطور الانسان وسلوكه.

2) واتفق مع فرويد في التأكيد على أهمية الخبرات المبكرة، غير أنه رفض اهمال فرويد للتطور الذي يحدث

عند الفرد في فترة الرشد

كما رفض اريكسون أيضا نظرة فرويد التشاؤمية حول الطبيعة الانسانية، واعتقاده بعدم قدرة الانسان على التعامل مع المشكلات التي يواجهها حيث يرى اريكسون أن الناس قادرون على مواجهة الصعوبات وحل الصراعات المختلفة التي تزخر بها حياتهم.

ويعتقد اريكسون بأن هوية الفرد الشخصية تنمو من خلال سلسلة من ازيمات النمو والتطور النفس اجتماعية، التي يمكن أن تؤدي إلى تطور الشخصية أو نكوصها وهي التي تجعل شخصياتنا أكثر أو أقل تكاملا ويرى أن الفرد في دورة تطوره المستمرة مرغم على التفاعل مع فئات مجتمعية واسعة توفر له القدرة لتطوير شخصية سوية قادرة على فهم وإدراك ذاتها، بالإضافة الى إدراك العالم الذي يحيط بها. وسنتعرف فيما يلي على هذه المراحل:

1- مرحلة الثقة في مقابل عدم الثقة : trust versus mistrust يواجه الوليد في عامه الأول الأزمة الأولى، إذ يولد وهو محايد بين شقي الأزمة، بمعنى أن لديه القابلية لكليهما، وما يمر به من خبرات هو الذي يقرر ويحسم هذه الأزمة لصالح أحدهما، فإن كانت هذه الخبرة إيجابية سارة، ممتعة تتكون لديه مشاعر الثقة. وعلى العكس إن كانت تلك الخبرات التي يتعرض لها سالبة، حزينة، متعبة حيث تتكون لدى الرضيع مشاعر عدم الثقة.

2- مرحلة الاستقلالية في مقابل الشعور الخجل : Autonomy Vs. Shame في العامين الثاني والثالث من عمر الطفل يواجه الأزمة الثانية. ان ما انتهى إليه الرضيع في المرحلة الأولى وما يمر به من خبرات ابن السنتين الثانية والثالثة يقرران مسار هذه الأزمة. فالشعور بالثقة يساعد الطفل على استكشاف أن ما يقوم به من سلوك هو سلوكه هو، وعلى تطوير مشاعر بالقدرة على تسيير بعض شؤونه والاحساس بالاستقلالية عنم تولوا رعايته في عامه الأول وعلى النقيض يكون حاله فيما لو طور في المرحلة الأولى مشاعر عدم الثقة. وينمو الشعور بالاستقلال عند الأطفال من خلال قيام الام بإطلاق العنان للمبادرة لديهم. وفي هذه المرحلة تحدث أكثر مظاهر التعلم وضوحا من خلال التدريب على عادات الاحراج والطفل الذي يحسن والداه معاملته يصبح سعيدا ويتمكن من ضبط ذاته.

3- مرحلة المبادرة في مقابل الشعور بالذنب : Initiative Vs. Guilt يواجه الطفل هذه الازمة في السنوات الرابعة والسادسة من عمره فمن المتوقع أن يخبر العالم الاجتماعي من حوله ويحتك به، أن ما انتهى اليه سيعمل على تأصيل وتوسيع دائرة الاستقلالية مما يدفع به إلى ممارسات سلوك أعقد ويسعى لتحمل مسؤولية أفعاله. ولابد للطفل في هذه المرحلة من الانطلاق في البيئة دون الاعتماد على الآخرين لتطوير شعور المبادرة اما الاستمرار في الاعتماد على الوالدين وغيرهم فإنه يطور شعورا بالذنب لإحساسه بالعجز عن تلبية توقعات المجتمع في التفاعل مع بيئته مستقلا عن والديه.

4- مرحلة الانجاز في مقابل الشعور بالنقص : Industry Vs. Inferiority تستغرق هذه المرحلة سنوات أطول إذ تمتد من السادسة إلى سن الثانية عشر. ان طفلا طور مشاعر الثقة والشعور بالاستقلالية والقدرة على المبادرة مرشح إن سار كل شيء على ما يرام أن يحسم أزمة هذه المرحلة لصالح الشعور بالقدرة على الانجاز في البيت أو في المدرسة فيما يكلف به من واجبات مدرسية أو أسرية وما تفرضه عليه جماعة الرفاق من مهمات يؤديها ويحرص على أن يكون هذا الأداء جيدا وبالسرعة الممكنة والعكس بالعكس.

5- مرحلة تحديد الهوية في مقابل اضطراب الهوية : Identity Vs. Identity Diffusion تبدأ هذه المرحلة مع بدايات مرحلة المراهقة وتستمر إلى نهايتها. وفي هذه المرحلة يواجه المراهق سؤالا لم يطرحه على نفسه من قبل هو: من أنا؟ ويجهد باحثا عن اجابة لهذا السؤال وامكانياته العقلية والمعرفية التي لم تبلغ أشدها، ورومانسية مغالية تحجب عنه الواقع وتدفع به للعيش مع ما هو خيالي. ان ما يتوفر لهذا المراهق من مساعدة وما يقاربه من خبرات وما يطلع عليه من نماذج متلفزة او مقروءة او حية تلعب دورا في ايصاله إلى تحديد هويته بتحديد الأدوار المنوطة به وذلك هو المسار النمائي الصحي الذي يهدي الى الانتقال السلس والسوي الى مرحلة الرشد المبكر.

6- مرحلة الالفة في مقابل العزلة : Intimacy Vs. Isolation تبدأ هذه المرحلة مع بدايات مرحلة الرشد المبكر، ومع هذه البدايات يكون الشباب قد تخلص من سطوة الأنوية وحصل لنفسه على اجابات مقنعة للعديد من الاسئلة، ورسا على أرضية الواقع الشخصي والاجتماعي، وعاد ليواجه ضرورة العيش مع الآخر وتطوير

مشاعر المودة والألفة وصولاً إلى التوافق مع هذا الآخر ومشاركته في التفكير والانجاز والتخطيط وبالتالي الانخراط الصحي في عجلة النظام الاجتماعي إما في الجامعة أو العمل.

7- مرحلة الانتاج في مقابل الركود : Generativity Vs. Stagnation ان شاب أ قد نجح في تحقيق الألفة في مرحلة الرشد المبكر مرشح لتطوير مشاعر القدرة على الانتاج بناء على ما ينتجه بالفعل. فمع بدايات هذه المرحلة يكون الشاب قد تزوج وأنجب، والتحق بوظيفة أو مارس أعمالاً خاصة. وكون صداقات عائلية، استقرت معايير الأخلاقية وتكاملت إلى حد ما بنيته المعرفية، وانتهى تكوينه الأكاديمي أو المهني. هذه الانجازات تعمل تطوير مشاعر حقيقية بقدراته على متابعة الانتاج والابداع ليكون عطاؤه في هذه المرحلة متميزاً.

8- مرحلة تكامل الأنا في مقابل الاحساس باليأس : Integrity Vs. Despair مع بدايات مرحلة الشيخوخة أو مرحلة الرشد المتأخرة تبدأ هذه المرحلة ومعها يقف الكهل مع أوائل الستينات من عمره متأمل مقيماً لما اتم انجازه من علم أو مال أو بناء أو علاقات اجتماعية أو العلاقة بينه وبين خالقه. إن كانت نتائج هذه الوقفة ايجابية، يشعر الفرد بتكامل الأنا فقد حقق ذاته وحصل على ما حلم به وما صبا إليه. وهذا يحضر لشيخوخة دافئة مريحة مطمئنة وعلى العكس إن كانت نتائج تلك الوقفة سلبية.

3) نظرية جان بياجيه في التطور المعرفي: Cognitive Theory

إذا كانت نظريات التحليل النفسي بعامة قد أكدت على العمليات اللاشعورية، فإن النظريات المعرفية ركزت على العمليات المعرفية (الشعورية) الاحساس، الانتباه، الادراك، التفكير... الخ (وتأتي نظرية جان بياجيه 1896 - 1980) في النمو المعرفي على رأس هذه النظريات.

يرى بياجيه أن هناك وظيفتين أساسيتين للتفكير وهما ثابتتين لا تتغيران مع تقدم العمر هما: التنظيم وadaptation والتكيف حيث تمثل وظيفة التنظيم نزعة الفرد إلى ترتيب العمليات العقلية وتنسيقها في أنظمة كلية متناسقة ومتكاملة، أما وظيفة التكيف فتمثل نزعة الفرد إلى التلاؤم مع البيئة التي يعيش فيها.

والتكيف عبارة عن تغيرات في العضوية تحدث استجابة لمطالب البيئة وتعتبر عملية التكيف وظيفة على درجة كبيرة من الأهمية، وقد ولدت جميع العضويات مزودة بالاستعداد للتكيف مع بيئتها، وتختلف الطرق التي تتكيف بها الكائنات الحية من عضوية إلى أخرى، ويحدث التكيف من خلال عمليتين تتم كل منهما الأخرى. وهاتان العمليتان هما: التمثيل assimilation والموائمة accommodation

أما التمثيل من وجهة نظر بياجيه عبارة عن عملية تعديل المعلومات الجديدة بما يتناسب مع ما لدى الفرد من أبنية معرفية أما الموائمة فتعني تغيير أو تعديل ما لدى الفرد من أبنية معرفية لتتناسب مع المعلومات أو الخبرات الجديدة التي يواجهها الفرد.

وخلال حياة الانسان تظل عمليتا التمثيل والموائمة نشطتين بشكل مستمر إذ اننا نكافح باستمرار من أجل التكيف مع متغيرات العالم الذي نواجهه ولذا فإنه يطلق على هاتين العمليتين اسم الثوابت الوظيفية باعتبارهما لا تتغيران خلال عمليات تطور الانسان. أما الذي يتغير خلال هذه العملية فهو الأبنية المعرفية التي غالبا ما تسمى سكيما schemes وتسمح للطفل بالتقدم تدريجيا في فهم العالم بمستويات أفضل. ومن وجهة نظر بياجيه فإن هناك مستويات مختلفة من الفهم المعرفي التي تنتقل بالطفل من أداء الأنشطة الوظيفية المستندة إلى الحس حركية في مرحلة الرضاعة إلى مستويات التفكير المجرد في مرحلة المراهقة.

ويرى بياجيه أن مفتاح التغير في التطور المعرفي يتضمن العمليات العقلية المتوافرة لدى الطفل، وبشكل عام تصبح هذه العمليات أكثر تعقيدا وتكيفا واستقلالية عن المثيرات المباشرة، ولا شك أن العمليات المعرفية التي يكتسبها الطفل في المرحلة الأولى من حياته تعتبر الأساس الذي تبنى عليه العمليات المعرفية الأكثر تعقيدا في المراحل اللاحقة.

والأسباب التي تؤدي إلى انتقال الفرد من مرحلة تطوريه إلى أخرى حسب بياجيه تتحدد بالعوامل الأربعة الرئيسية التالية:

أهم المراحل التي حددها بياجيه

- 1) النضج: ان نمو الجهاز العصبي المركزي والدماغ والتناسق الحركي وغيرها من جوانب التطور الجسدي تؤثر في التطور المعرفي فإذا لم تتطور قدرة الطفل على التنسيق الحركي الى حد معين، فلن يتمكن الطفل من المشي وإذا كانت قدرات الطفل في اكتشاف بيئته محدودة فلن يتعلم منها الكثير وبالرغم من أن النضج يعتبر مهماً في التطور العقلي إلا أنه لا يفسره بشكل كاف ولو كان النضج كافياً لتفسير ذلك فسوف يكون الدور الذي يمكن أن يلعبه المربون في هذا الجانب هامشياً ومحدوداً.
- 2) التفاعل مع الخبرة المادية : Interaction with physical experience يمكن أن يؤدي تفاعل الطفل مع بيئته إلى زيادة نسبة التطور لأن ملاحظة الأشياء والقدرة على التحكم بها يساعد في ظهور تفكير أكثر تعقيداً.
- 3) التفاعل مع البيئة الاجتماعية : Interaction with social environment ويشير ذلك إلى أثر كل من اللغة والتدريس والقراءة بالإضافة إلى عملية التفاعل الاجتماعي مع مجموعة الرفاق والأقران والكبار، التي تعتبر جميعها من الخبرات التي يمكن أن تؤثر في التطور المعرفي.
- 4) التوازن: وهي عملية ذاتية تتضمن استعادة حالات الاتزان في فترات عدم الاتزان، إنه عملية يكتسب من خلالها الفرد وظائف العمليات المعرفية العليا من خلال سلسلة لا نهائية من عمليات التمثل والموائمة.